# الصلاة على النبي

(القسم الثاني)

الإمام عبد الحميد بن باديس
تحقيق أ. محمد الصالح رمضان*

## معنى العبد في اللغة واستعماله فيها:

أما قوله:" عبدك" في حديث أبي سعيد عند البخاري فالعبد_ قال الأئمة: خلاف حر، والحر من لا ملك لأحد عليه. فالعبد هو المملوك. والعبودية هي طاعته مع الخضوع والتذلل[1] والمملوكية التي هي أصل المعنى مستلزمة لها. وجاء في كلامهم مضافا إضافة ملك للبشر فقالوا: عبد زيد أي مملوكه، وإلى الخالق تعالى مالك الجميع فقالوا: عبد الله، وإلى معبوداتهم الباطلة فقالوا: عبد العزى وعبد اللات، بناء على شركهم وزعمهم أن طواغيتهم تملك مع الله ،و إن كان هو مالك الجميع. كما كانوا يقولون في تلبيتهم: "لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك".

## ما أقره الإسلام وما أبطله:

جاء الإسلام فأقر إضافتين وأبطل واحدة: وذلك أن الملك إما ملك حقيقي:ثابت بالخلق والحفظ والإنعام وهذا ليس إلا لله فكل أحد هو عبد الله.

---

* من كتاب "من هدي النّبوة" للإمام عبد الحميد بن باديس (جمع وتصنيف ومراجعة وتعليق وتقديم الأستاذ محمد الصالح رمضان).

1. قال بعضهم : إن العبد مأخوذ من الطريق المعبد ،أو المذلل بوطء الأقدام وهذا ليجعلوا الذل من مفهوم العبد. وأنا أرى أن الذل لازم لمفهوم العبد وهو المملوك، وأنه هو أصل السادة وأن العبد _اسم مفعول مشتق_ هو المأخوذ منه عبد معناه مال كما يذل العبد.

وإما ملك مجازي متنقل بسبب معارضة أو عطية أو إرث، وهذا هو ملك العباد وعلى هذا المعنى يقال: عبد زيد أي مملوكه، وأما الطواغيت فلا ملك لها بالوجهين فلا تجوز إضافة العبد إليها.

وقد جاء في إضافة الملك المجازي، قوله صلى الله عليه و آله وسلم فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه:"لا يقولن أحدكم عبدي فكلكم عبيد الله، ولكن ليقل فتاي، ولا يقل العبد ربي ولكن ليقل سيدي": والنهي عن هذا لما فيه من التطاول والتعاظم والارتفاع، ولا بأس به إذا كان في النادر للبيان والتعريف.

**حقيقة العبودية لله:**

العبودية لله وصف عام ثابت في كل مخلوق، فكل مخلوق هو عبد الله مملوك له، في دائرة خلقه، وقبضة أمره، خاضع ذليل منقاد لتصرفات قدرته. والعبد يضاف لله تعالى بهذا المعنى إضافة عامة، لا فرق فيها بين بر وفاجر وقد قال تعالى: **﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا[1]﴾**

ويضاف إليه إضافة خاصة: إذا كان العبد قد عرف عبوديته لربه علما، و قام بواجبها عملا فأطاع مولاه طاعة المملوك لمالكه عن علم واختيار بذل وخضوع وانكسار، بلا امتناع و لا اعتراض ولا استكبار، وقد جاء على هذا قوله تعالى: **﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى[2]﴾**، **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً[3]﴾**، **﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ[4]﴾** **﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ[5]﴾**. وقال: "إني عبد الله **﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ[6]﴾** ومنه قوله" عبدك" هنا.

---

**1**. سورة مريم، الآية 93.ـ **2**. سورة النجم ، الآية، 10. ـ **3**. سورة الإسراء، الآية، 01. ـ **4**. سورة ص ، الآية، 17.ـ **5**. سورة الجن، الاية، 19.ـ **6**. سورة ص، الاية، 45.

**وجه إضافة العبد لله:**

والعبد المضاف إلى الله تعالى بهذا الوجه هو المملوك المطيع، وطاعته بذل وخضوع هي عبادته كان ليس مملوكا إلا الله فلا تكون طاعته إلا لله، فلا يجوز لأحد أن يطيع أحدا إلا في طاعة الله فتكون طاعته في الحقيقة لله، فطاعتنا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم هي ـبالقطعـ طاعة لله، وطاعتنا لغيره لا تجوز إلا إذا عرفنا أنها في مرضاة الله، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم "**لا طاعة لأحد في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف**" رواه الشيخان وأبو داود والنسائي عن علي رضي الله عنه. وقال صلى الله عليه وسلم: "**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**" رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه، عن عمران والحكم بن عمرو الفارى ـرضي الله عنهمـ و لما كانت الطاعةـ التي هي العبادةـ بما يحصل الكمال الإنساني للفرد في عقله وأخلاقه وأعماله وللنوع في اجتماعه وعمرانه وهذا الكمال هو سعادة الدنيا المفضية إلى السعادة الكبرى في الحياة الأخرىـ كانت العبودية أشرف حال، وأعظم مقام وأفضل وصف للإنسان وكان أفضل.

**نبينا أفضل خلق:**

ولما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذلك، كان أفضل الخلق وكان كما قال صلى الله عليه وسلم "**سيد ولد آدم ولا فخر**" ولهذا ذكر بوصف العبودية في مقام التقريب والتكريم في قوله تعالى:﴿ **فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى** ﴾[1]: وفي مقام الترفيع والتعظيم في آية الإسراء، وجاء على مقتضى ذلك وصفه به في ذكر الصلاة ومقام الثناء والدعاء.

ولفظ العبد كما أنه أكمل وصف للإنسان على ما بيناـ هو أصدق وصف له وأشده بعدا عن الكبرياء والعظمة والترفع.

1. سورة النجم الآية، 10

ولذا لما خير النبي صلى الله عليه وسلم بين أن يكون نبيا ملكا وأن يكون نبيا عبدا. اختار أن يكون نبيا عبدا، فإن الملك لا بد له من مظاهر السيادة والسلطان وإن كان بعدل وحق، كملك داوود وسليمان عليهما الصلاة والسلام فاختار النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون نبيا بدون هذا المظهر وكان الذي اختار أفضل.

## أكمل العباد:

وكان صلى الله عليه و سلم في جميع حياته على أكمل حال في التواضع الذي هو من مظاهر كمال عبوديته لربه،وكان يقول صلى الله عليه وسلم: "**أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد**"

## معنى الرسول :

وأما قوله" ورسولك" في الحديث المذكور فإن الرسول هو من بعثه الله تعالى _ فضلا منه_ ليبلغ شريعته و قيامه بأعباء الرسالة هو من طاعته وعبوديته لربه.

فقدم لفظ العبد على لفظ الرسول:"تقديم العام على الخاص وتقديم[1] الشرط على المشروط فإن الرسالة لا يفضل بها الله إلا أكمل عبادة و﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**[2]﴾ وتقديم الترتيب" لأنه كان عبدا قبل أن يكون رسولا. ولأن العبودية للخالق والرسالة فيها انصراف _ بأمر الله_ للخلق.

## تواضع رسولنا:

والعبودية والرسالة هما الوصفان اللذان أمرنا النبي _ صلى الله عليه وسلم_ ألا نتجاوز حدهما في الثناء فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تطروني[3] كما أطرت النصارى عيسى، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله، فنهانا

---

1. لا تنس أنه لا يلزم من وجوده الوجود، فلا يلزم من وجوده كمال العبادة_ فرضا_ وجود الرسالة، لأن النبوة لا تكتسب. _ 2. سورة الأنعام الآية، 124. - 3. من الإطراء وهو المدح والغلو فيه.

عن إطرائه في المدح و المبالغة، والغلو بوصفه بما لا يجوز، كما غلت النصارى في عيسى عليه الصلاة والسلام. فادعت فيه الألوهية ونسبت إليه ما لا يكون إلا لله.

وبين لنا طريق مدحه صلى الله عليه وسلم بذكر كل ما يليق برسالته من عظيم الخصال، عليه و على آله الصلاة والسلام.

**مبلغ صلاة الله على رسوله:**

وقوله: "**كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم**" و"**كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم**" في حديث كعب بن عجرة يفيد أن المصلي يسأل من الله تعالى صلاة وبركة لمحمد وآله في المستقبل مثل ما كان منه تعالى من صلاة وبركة على إبراهيم وآله في الماضي.

هذا يسأله المصلي في كل مرة من صلاته وهذا سؤاله كلما سأل فكم تكون صلوات الله تعالى وبركاته على آل محمد وآله في المستقبل، وهي إثر كل صلاة مصل، تكون مثلما حصل في الماضي منه تعالى على إبراهيم وآله؟ إن مقاديرها ـ على هذا ـ تبلغ إلى ما يعجز عن حصره العقل، وهي لا تزال متزايدة بقدر صلاة المصلين تزايدا فوق متصور البشر.

**وجهان في معنى التشبيه:**

والكاف في قوله "كما" تفيد التشبيه والإلحاق، وهذا يحتمل وجهين:

**1**- أن يكون ذلك في أصل الصلاة بقطع النظر عن مقدارها فلكل ما يناسب مقامه في الفضل والأفضلية من المقدار، كما نقول لمن تقدمت منه هدية لبعض أقاربه: أعط هذا القريب الأقرب كما أعطيت ذاك الغريب تقصد أصل العطاء دون مقداره ضرورة أن ما يستحقه القريب الأقرب أكثر مما يستحقه الغريب.

وجاء هذا الأسلوب في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ[1]﴾ فالمقصود أن يكون منه إحسان مماثل لما لله عليه منه

وتكون نكتة التشبيه: إلحاق وهو الصلاة والبركة المسئولتان لمحمد وآله بالسابق المشتهر، والصلاة والبركة المعطاتان لإبراهيم وآله، فالمقصود أن تكون هذه ظاهرة مشتهرة في الخلق كما كانت تلك فيهم.

2- أن يكون التشبيه في مقدار الصلاة والبركة،ويكون المطلوب هو المقدار المماثل: كما تقول لمن أعطى زيدا عشرة دراهم : وأعط عمرا كما أعطيت زيدا.ونكتة التشبيه في هذا التشبيه في هذا الوجه هي نكتته في الأول. وعلى هذا الوجه يقال: كيف يطلب له صلى الله عليه وسلم صلاة وبركة مثلما حصل لغيره، وهو أفضل من غيره. وبمقتضى كونه أفضل .. لا يطلب له إلا ما هو أفضل؟ و يجاب بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان شديد التعظيم لأبيه إبراهيم عليه السلام والتواضع في جانبه، فكان هذا الطلب على مقتضى ذلك التعظيم وذلك التواضع وفي ذلك تعليم وتأديب لأمته.

ثم في هذا التشبيه إشادة بذكر إبراهيم عليه السلام، وإبقاء له على ألسنة هذه الأمة وفي هذا اعتراف بفضل هذا النبي الحنيف الذي هو على ملّته واحتجاج على أهل الكتاب الذين يعظمونه له مثلنا. وقد حادوا عن ملته الحنيفية بذهابهم في أودية الشرك، واتخاذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله، وجزاء له عليه السلام في دعوته لنبينا فيما حكاه القرآن بقوله ﴿رَبَّنَا وابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيهِمْ ءايَاتِكَ ويُعَلِمُهُمْ الكِتَابَ والحِكْمَةَ ويزُكِّيهِمْ إنَكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ[2]﴾

**معنى في العالمين:**

وقوله" في العالمين" أي أجناس الخلق يفيد أن صلاته تعالى وبركته على إبراهيم وآله، كانت ظاهرة مشتهرة ـعلما وأثراـ في أجناس المخلوقات وقد سئل في صيغة الصلاة أن تكون صلاته وبركاته على محمد وآله مثل ذلك.

---

1. سورة القصص الآية، 77. ـ 2. سورة البقرة، الآية 129.

ولفظ "في العالمين" مذكور في القسم الثاني قسم البركة دون القسم الأول: قسم الصلاة وأرى ذلك من الإيجاز بالحذف من الأوائل لدلالة الأواخر.

**معنى حميد مجيد:**

وقوله "حميد" من الحمد إما بمعنى حامد حول ليفيد التكثير، وهو جل جلاله يحمد فعل الخير من عباده، و يثيبهم على القليل بالكثير ومناسبة اسم "حميد" لختم هذه الصلاة أن هؤلاء من عبادك المتقين الذين تتفضل عليهم بحمدك، فمن حمدك.. لهم أن تصلى وتبارك عليهم.

وإما بمعنى محمود،و مناسبته حينئذ أنك ذو الكمال والإنعام اللذين تحمد عليهما ،فمن إنعامك و إحسانك صلاتك وبركتك.

وقوله "**مجيد**" من المجد والشرف بمعنى ماجد يفيد عظمة مجده وشرفه في ذاته وصفاته وأفعاله. ومناسبته للاسم السابق: أن حمده لخلقه ـ وطاعتهم بفضله وتيسيره ـ من مجده وشرفه، أو أن كماله وإنعامه اللذين يحمد عليهما هما فوق كل كمال، وفوق كل إنعام على ما يليق بمجده وشرفه.

**لطيفة في الختم:**

ومناسبة ختم الصلاة بهذا الاسم: أن من مجده وشرفه ـ جل جلاله ـ هذه الإنعامات العظيمة، والخيرات الجسيمة المتوالية على مخلوقاته،ومنها هذه الصلاة والبركة المسئولتان لأكرم خلقه وجميع آله.

وبهذا التقرير يظهر أن جملة: "**إنك حميد مجيد**" هي تذييل للكلام السابق، وتأكيد بما هو عام، ومشتمل على معناه،فإن الصلاة والبركة من مقتضى الحمد والمجد ـ نظير قوله تعالى: ﴿**جَاءَ الحَقُّ وزَهَقَ البَاطِلُ، إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾[1]

1. سورة الإسراء، الآية 81 (إلى هنا أنهى الإمام الكلام على القسم العلمي، ويبدأ الكلام على القسم العملي في الصلاة على الرسول)

**القسم العملي:**

الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واجبة مرة في العمر وذهب الشافعي إلى وجوبها في التشهد الثاني من الصلاة وقيل: بوجوبها عند ذكره وثبت الترغيب فيها إثر حكاية الأذان، ويوم الجمعة، وليلتها وعند الدعاء ثم ماشاء حسب الطاقة القصد بها:

ويقصد المصلى بصلاته امتثال أمر الله، ورجاء ثوابه، والتقرب إليه بذكر نبيه على وفق أمره وقضاء بعض حقه والمكافأة بقدر جهدها لبعض إحسانه وإظهار تمام المحبة فيه. و الاحترام له، وصحة العقيدة في دينه.

**صيغها وأفضلها:**

وصيغ الصلاة كثيرة، والأمر فيها واسع، وأرفعها قدرا وأعظمها نفعا هي الصيغة التي قالها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه ـ وقد سألوه ـ في معرض البيان، وبيانه لهم بيان لجميع الأمة بعدهم وهو أعلم الناس بما ينفع، وأحرص الناس على جلبه لأمته. فلا أنفع ولا أرفع مما جاء به من عند ربه، واختاره لأمته. والأكمل أن يحفظ الصيغة النبوية برواياتها ويستعملها مرة برواية، ومرة بغيرها، حتى يكون قد استعملها كلها، ولو اقتصر على بعضها لكان كافيا.

تبقى الصيغة كما هي، وعندما يأتي بالصلاة النبوية بإحدى رواياتها. يحافظ على لفظها بدون زيادة شيء من عنده عليها. ولا أن ينقص شيئا منها لأن الصيغة الواردة توقيفية متعبد بها. والتوافق في العبادات يؤتى بنص لفظه بلا زيادة ولا تنقيص ولا تبدل وأصل هذا حديث البراءة بن عازب رضي الله عنه في الصحيح لما قال "وبرسولك الذي أرسلت" قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "**لا وبنبيك الذي أرسلت**" فلم يقره على تبديل لفظ النبي بلفظ الرسول على تقاربهما لأن الصيغة متعبد بها. والحديث في باب إذا بات طاهرا من كتاب الدعوات من صحيح البخاري.

**تحذيرات:**

مظهر الصلاة على النبي ـصلى الله عليه وآله وسلمـ كسائر الأذكار هو اللسان وثمرتها في الأعمال ومنبتها القلب.

1- فليحذر المصلى من الغفلة عند جريان الصلاة على لسانه

2- والصلاة النبوية صيغة تعبدية فليحذر من اللحن فيها.

3- وجاء وعيد فيمن تركها عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فليحذر من تركها عنده وخصوصا من اعتياد تركها.

4- وقد اعتاد بعضهم أن يقول لصاحبه عند الغضب "صل على النبي" وهذا وضع لها في غير محلها، وتعريض للاسم الشريف إلى ما لا يليق، قد يكون عند جنون الغضب من تقصير أو سوء أدب، فليحذر من هذا ومثله.

5- وقد جرت عادة بعض الناس[1] في ليلي زرداتهم أن يرفعوا أصواتهم على مرة: "الصلاة على النبي" فتجيبهم النساء من وراء الحجاب برفع أصواتهن بالزغردة حتى يرتج المكان ومن أبشع المنكر أن تستعمل عبادة من أشرف العبادات في إثارة هذه المعصية النسوانية فليحذر من ذلك، وليغيره بما قدر عليه.

6- وقد هجر الناس الصلاة النبوية التوقيفية واقتصروا على غيرها، وزاد بعضهم فقال: إن غيرها أنفع منها. فليحذر من هذا الهجر ومن هذا القول فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أنفع الخلق وأرفعهم، وفعله أرفع الأفعال وانفعها، وقولها أرفع الأقوال وأنفعها، فليجعل أصل صلاته الصلاة النبوية المروية، وليجعل بعدها ماشاء.

---

1. يقصد بعض الجهلة من رجال الطرق الذين ضلوا وأضلوا

7- ومن الكتب المشهورة بين الناس في الصلاة على النبي-صلى الله عليه وآله وسلم:ـ كتاب" تنبيه الأنام" وفيه موضوعات كثيرة لا أصل لها: فبينما قارئه في عبادة الصلاة، إذا هو في معصية الكذب فليكن منه على حذر. والله يفتح علينا في العلم، ويوفقنا في العمل.

له الحمد في الأولى والآخرة رب العالمين.